شاعر آل البيت

دعبل بن علي الخزاعي

دراسة نقدية لآخر المجموعات من شعره

[صنعة الدكتور محمد يوسف نجم]

— ١ —

نعرف من المجموعات الحديثة المصنوعة من شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي خمساً . فأولها مجموعة المرحوم الشيخ محمد السماوي النجفي المخطوطة التي ورثها الشيخ محمد علي اليعقوبي النجفي ، وما تزال في مكتبته . والثانية مجموعة المرحوم السيد محسن الأمين التي ضمنها كتابه (دعبل الخزاعي) الذي صدر في دمشق سنة ١٣٦٨ هـ . والثالثة مجموعة المستشرق ليون زولندك ، ولم يتهيأ لنا الاطلاع عليها . والرابعة مجموعة الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي التي نشرت في العراق سنة ١٩٦٢ . والخامسة الأخيرة ـ التي نقف عندها اليوم ـ مجموعة الدكتور محمد يوسف نجم مدير فرع مؤسسة فرنكلين للنشر في بيروت ، وقد صدرت في بيروت بعد مجموعة الدجيلي بما يقرب من ثلاثة أشهر .

فهذه المجموعات التي رأيناها مجموعات صغيرة كان يمكن أن تغني كثيراً لو كان أتيح لأصحابها أن يطلعوا على مصادر ـ من المخطوط والمطبوع ـ لم يتيسر لهم الاطلاع عليها . إن أحدهم مثلاً ـ وهو الدكتور محمد يوسف نجم ـ سمع أشياء عن مجموعة السماوي ، ولكنه لم يكلف نفسه مشقة السعي وراءها . وأحدهم ـ وهو الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي ـ عرف أن لدعبل « قصيدة طويلة جداً » ينبغي أن تستخرج من منافضة عثمان بن سند البصري (ت ١٢٤٠ هـ)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكنه لم يعثر عليها بسبب « وجودها في المجموعات المخطوطة » ! وهم كلهم لم يتهيأ لهم التوسع في الاطلاع على المخطوط ، فوقعت مجموعاتهم ـ ما خلا مجموعة الدجيلي ـ في دون الألف من الأبيات المختلطة ، فيها المقبول الصراح والمختلف عليه والمشكوك فيه .

وهم ـ من ناحية أخرى ـ لم يوفقوا إلى الأخذ بنهج علمي محدد في جمع الشعر وتحقيقه . والذي ميز فيهم بين المختلف عليه من شعره وغير المختلف عليه ـ وهو الدكتور نجم ـ ارتكب أخطاء فاحشة ، لضعف اطلاعه على المصادر ، فلم يعد لتمييزه هذا معنى كبير .

على أنه لم يدّع أحد من أصحاب هذه المجموعات أنه جمعها ونشرها على نهج علمي ، وإن أوحى صاحب المجموعة الأخيرة ـ وهو الدكتور نجم كما عرفنا ـ لقارئه بما يشبه ذلك ، في نقده اللاذع لمجموعة المستشرق ليون زولندك ورميه إياها « بالقصور والخطأ والإخلال » .

والحق أن مجموعة الدكتور نجم تفضل المجموعات الثلاث الأخرى التي رأيناها من حيث تنظيمها وطباعتها . فينبغي إذن أن نطيل الوقوف عندها ، لأن نقدها يحدد موضع المجموعات الأخرى ، وإن لم يذهب بالميزات الخاصة بكل منها .

— ٢ —

وقد كان الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ـ العامل في مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ صنع نواة هذه المجموعة ، ولكنه لم يفز من المحقق ـ الذي صدرت المجموعة باسمه وحده ـ بأكثر من سطرين في آخر المقدمة .

وأجاز المحقق لنفسه ـ كما فعل الدجيلي قبله ـ أن يسمي مجموعته : ديوان دعبل بن علي الخزاعي . ولكنه لم يشر فيها إلى مجموعة الدجيلي ، فلعله لم يطلع عليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورأى الدكتور نجم أن يجعل مجموعته في قسمين ، يضم الأول منها الشعر الذي لم تختلف المصادر في نسبته إلى دعبل ، ويضم الثاني المختلف عليه من شعره . ومجموع القسمين لا يصل إلى ألف بيت كما قلنا . فهي إذن مجموعة صغيرة ، أصغر من مجموعة الدجيلي .

ولم يميز المحقق في مجموعته الشعر الذي انفردت كتب الشيعة بنسبته إلى دعبل ، فجاء مختلطاً بشعر الشاعر . ويبدو أن المحقق أحس بخطئه هذا - على نحو ما - (١) فاقتصر من هذا الشعر - دون اختيار - على نصوص قليلة لم تتعد التسعة ، فوقع - من هنا - في خطأ آخر هو نسيان الشعر الكثير الذي روي للشاعر في هذه الكتب . فهكذا اضطرب منهجه اضطراباً عميقاً ، فلا هو أغفل هذا الشعر ، ولا هو جمعه كله ووضعه في يد القارئ ، ولا هو استن منهجاً مفهوماً في اختيار بعض هذا الشعر الذي ذكر هو نفسه أنه رأى فيما وقع عليه منه « تزيداً ووضعاً » . ولا هو لجأ إلى ما كان ينبغي أن يلجأ إليه ، فجمع هذا الشعر كله ووضعه في يد القارئ ، على صورة من صور التمييز .

والطريف - بعد ذلك - أنه كان على علم بمجموعة السماوي ، فذكر في مقدمته أنه يقدر أن يكون لهذه المجموعة « شأن خاص ، إذ لا بد أن يكون الشيخ السماوي قد خرّج شعره من المصادر الشيعية المخطوطة » ، ثم لم يكلف نفسه - وهو المتصدي لإخراج ما سماه : ديوان دعبل بن علي الخزاعي - الرجوع إليها . وقد ذكرنا أن الدجيلي قبله رجع إليها وأفاد منها . وكان صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر أخبر المحقق - منذ أكثر من ثلاث سنوات - أني رجعت إليها أنا أيضاً . فلو كان المحقق اتصل بي لوضعتها في يده .

---

(١) انظر المقدمة ص ٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

— ٣ —

ونعود الآن إلى مجموعته على الصورة التي اختارها ، فنجد نصوصاً كثيرة في القسم الأول (غير المختلف عليه) كان ينبغي أن تنقل إلى القسم الثاني (المختلف عليه) لو لم تقصر بالمحقق مصادره القليلة التي رجع إليها ، ولو كان استقصاء حقاً من كل مصدر رجع إليه كل ما فيه من شعر دعبل :

١ — فالنص الثاني والعشرون الذي أوله :

وإني لأَرثي للكريم إذا غَدا على مطمع عند اللئيمِ يُطالِبُهْ

نسب أيضاً إلى عبيد الله بن عكراش (عيون الأخبار ١/ ٨٩) .

٢ — والنص الثاني والأربعون الذي أوله :

هُمْ قَعدوا فانتَقَوْا لهم حَسَباً يَجوز بعد العِشاء في العَرَبِ

نسب أيضاً إلى بشار بن برد (العقد ٦/ ١٣٧) .

٣ — والنص الخامس والسبعون الذي أوله :

سألتُ أبي وكان أبي عليما بساكنةِ الجزيرة والسَّوادِ

نسب أيضاً الى الحسن بن وهب (الأغاني ٢٢/ ٥٥٣) .

٤ — والنص الثالث والثمانون الذي أوله :

تَخْضِبُ كفاً ـ قُطِعت من زَنْدِها ـ

نسب أيضاً إلى أعشى مُسلم (تشبيهات ابن أبي عون ورقة ٢٢٩) .

٥ — والنص السادس والتسعون :

وإن طُرَّةٌ راقتك فانظر فربَّما أمَرُّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضَرُ

ذكر أن سليمان بن عبد الملك (في القرن الأول) تمثل به يوماً (العقد ٢/ ٢٤١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٦ — والنص الرابع بعد المائة ، الذي أوله :

وقد كان هذا البحر ليس يجوزه سوى خائف من ذنبه ومخاطر

نسب أيضاً إلى أبي الغول (طبقات الشعراء ١٤٩) .

٧ — والنص العاشر بعد المائة الذي أوله :

ما زال عِصْيانُنا لله يَرْدُلنا حتى دُفعنا إلى بجيى ودِينارِ

نسب أيضاً إلى عمارة بن عقيل (البيان والتبيين ٣/٢٢٨ والمنتخب ١٢٨) .

٨ — والنص الثامن والثلاثون بعد المائة ، الذي أوله :

سألوني اليمينَ فارتَعْت عنها كي يُغَرّوا بذلك الإرْتياع

نسب أيضاً إلى البحتري (تشبيهات ابن أبي عون ورقة ٢٥٩ ومحاضرات الراغب ١/٢٩٩) .

٩ — والنص الثالث والأربعون بعد المائة الذي أوله :

الله أجرى من الأرزاق أكثرَها على يديكَ بخير يا أبا دُلَفِ

نسب أيضاً إلى علي بن جبلة (الأغاني ١٩/٣٠٥ ومسالك الأبصار ٩/ورقة ٤١٧) وإلى عبد الله بن أبي السمط (محاضرات الراغب ١/٣٦٢) .

١٠ — والنص الرابع والسبعون بعد المائة ، الذي أوله :

كيف احتيالي لبَسْطِ الضّيْفِ من حَصَرٍ عند الطعامِ فقد ضاقتْ به حِيَلي

نسب أيضاً إلى ابراهيم بن هرمة (شرح المقامات ٢/٣٢١) .

١١ — والنص السادس والثمانون بعد المائة الذي أوله :

إذا انتقموا أعلنوا أمرهم وإن أنعموا أنعموا باكتتام

نسب أيضاً إلى المتنبي (محاضرات الراغب ٢/٨٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢ — والنص الخامس والتسعون بعد المائة ، الذي أوله :

فلا تحسد الكلبَ أكلَ العظا م فعند الخراءةِ ما ترحمُهْ

نسب أيضاً إلى اللجلاج الحارثي (التمثيل والمحاضرة ٨٦ ونهاية الأرب ٢/٩٠) .

١٣ — والنص التاسع بعد المائتين ، الذي أوله :

سمتُ المديحَ رجالاً دونَ مالهمُ ردٌّ قبيحٌ وقولٌ ليس بالحسَنِ

نسب أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز الطائي (عيون الأخبار ٢/٣٣) .

١٤ — والنص الثالث عشر بعد المائتين ، الذي أوله :

رأيتُ من الكبائرِ قاضيين هما أحدوثةٌ في الخافقينِ

نسب أيضاً إلى أبي العبر الهاشمي (الأغاني ٢٣/٨٥) وإلى الجماز (تاريخ الطبري ١١/٤٦ وتاريخ ابن الأثير ٥/٢٨٩ والشعور بالعور ٦٠) .

١٥ — والنص الرابع عشر بعد المائتين ، الذي أوله :

فلو أني بُليتُ بهاشميٍّ خؤولتُه بنو عَبْد المَدان

نسب أيضاً إلى زياد بن عبد الله الحارثي (أخبار أبي تمام ٣٩ والمنتحل ١٣٦) .

١٦ — والنص التاسع عشر بعد المائتين ، الذي أوله :

لم يُطيقوا أن يَسمعوا وسمعنا وصبرنا على رحى الأَسْنان

نسب أيضاً إلى « غير دعبل » (محاضرات الأدباء ١/٤٠١) .

وتبقى نصوص أخرى مثلها ما نشك أن المحقق لو كان أتيح له الوقت للنظر فيها لألحقها بهذه النصوص أو لعدى عن بعضها (النصوص : ٢٣ ، ٣٤ ، ٧١ ، ٩٣ ، ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

— ٤ —

وفي مقابل هذه النصوص نجد نصوصاً عدها المحقق في المختلف عليه (القسم الثاني) ، وكان ينبغي أن لا يتردد في نقلها إلى القسم الأول (غير المختلف عليه) فإن النص الرابع عشر مثلاً ـ من القسم الثاني ـ الذي مطلعه عنده :

يا أُمةَ السوءِ ما جازَيْت أحمدَ عن حُسْنِ البَلاءِ على التَّنْزيلِ والسُّوَرِ

قصيدة من أشهر شعر الشاعر وأوثقه . ولو كان المحقق رجع إلى مصادر أخرى كثيرة غير التي رجع إليها ، مثل تلخيص أخبار الشيعة أو الدر الفريد أو أمالي الطوسي أو التذكرة الحمدونية أو الوافي بالوفيات أو عيون أخبار الرضا وغيرها ، لوقع على تمام القصيدة ، ومطلعها :

تأسفتْ جارتي لما رأت زَوَري وعدَّت الحِلْمَ ذنباً غيرَ مُغْتَفَرِ

وهي في أربعة وعشرين بيتاً ، لا في أحد عشر بيتاً كما هي عنده . وقد أثبت ياقوت نفسه ـ الذي نقل عنه جامع الشعر نسبة بيتين منها إلى ابن حبرون من شعراء الرافضة ـ نسبتها إلى دعبل في ثلاثة مواضع (معجم البلدان : انظر المواد : طوس وخزر ومخلاف جيشان)

— ٥ —

على أن هذا ـ على خطره ـ يهون إلى جانب ما أثبت المحقق في القسم الأول (غير المختلف عليه) من شعر لم يختلف عليه فحسب ، وإنما تحققت نسبته إلى شعراء بأعيانهم :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — فالنص الحادي عشر مثلاً :

لِيَهْنِكَ دولةٌ حدثتْ فأحدثَ عِزُّها نَسَبا

بيت من أبيات ثلاثة لمحمد بن عبد الملك الزيات ، قالها في خصمه أحمد بن أبي دواد (ديوان ابن الزيات ٢) .

٢ — والنص السادس عشر المؤلف عنده من ثلاثة أبيات ، ومطلعه :

ذهبتُ وما أدري إلى أين أذهبُ وأيّ الأُمورِ في العزيمة أركبُ

من قصيدة لعمرو بن الهذير من خمسة عشر بيتاً (العقد ٦/٢١٦ — ٧) .

٣ — والنص السادس والعشرون ، ومطلعه :

فلو أنني أصبحتُ في جود مالكٍ وعزّتِهِ ما نالَ ذلك مطلبي

بيتان من مقطوعة معروفة لبكر بن النطاح (العمدة ٢/٤٠ ومحاضرات الأدباء ١/٣٥٧ ونهاية الأرب ٧/١٢٠ ومعاهد التنصيص ١/٣٨٥) .

٤ — والنص الثامن والأربعون بعد المائة :

غَيْر رأى أَسَدَ العرين فراعَهُ حتّى إذا ولّى تولّى يَنْهَقُ

بيت من قصيدة مشهورة جداً لأبي تمام في هجاء عتبة بن أبي عاصم (ديوان أبي تمام ٤٩٩) .

٥ — والنص الثامن والتسعون بعد المائة :

هذي هديّةُ عَبْدٍ أنتَ مُلْبِسُهُ ثوبَ الغِنى فاقبل المَيْسُورَ من خَدَمِكْ

بيت من أبيات للحسين بن دعبل ، وهو شاعر مثل أبيه (التحف والهدايا ١٥٣) .

ولو كان المحقق وضع لنفسه منهجاً لسهل عليه أن يرد اثنى عشر نصاً آخر من القسم الثاني (النصوص ١ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) إلى أصحابها أيضاً كما ترد النصوص السابقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولولا مخافة الإملال لرددتها واحداً واحداً . فإذا شاء المحقق أن يكتب إليّ لأعينه على ردها فعلت إن شاء الله .

— ٦ —

على أن التعجل والاقتصار على مصادر قليلة لم يورطا المحقق في هذا وحده ، فإن كثيراً من النصوص مجتزأة مبتورة المطلع أو النهاية أو ممزقة على نصوص متعددة أو مخلخلة خلخلة لا يستقيم معها الكلام أحياناً . وسأكتفي هنا بإيراد أمثلة قليلة من ذلك تكفي في الدلالة وإن لم تكف في الحصر ، فهذا يطول كثيراً :

١ — فالنص الثاني عشر (من القسم الأول) الذي مطلعه عنده :

عَطاياهُ تغـــدو على سابحٍ وطَوْراً على بَغْلَةٍ نَدْبَهْ

نقصت من مطلعه أبيات يخاطب فيها المطلب بن عبد الله الخزاعي ، ومطلعها :

أمطلب دعْ دعاوى الكُماةِ فتلكَ نحيزةُ لا رُتْبَـــهْ

٢ — والنص الثامن والثلاثون ، ومطلعه :

يا سلمَ ذاتَ الوُضّحِ العِذابِ

نقصت من نهايته أبيات هي :

جاءَ مشيبي ومضى شَبـــابي
وزال عني أهْوجُ التّصـــابي
فلم أَجُرْ عن مَنْهجِ الصّوابِ

٣ — والنص الحادي والسبعون بعد المائة الذي يخاطب فيه الشاعر الفضل ابن مروان بقوله :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نصحتُ فأخلصتُ النصيحةَ للفضلِ وقلت فسيّرْتُ المقالةَ في الفَضْلِ
ألا إنّ في الفضْل بن سهلٍ لَعبرةً إذا اعتبرَ الفَضْلُ بنُ مروانَ بالفَضْلِ
وللفضلِ في الفضلِ بن يحيى مواعظٌ إذا فكر الفضلُ بنُ مروانَ بالفضلِ

حتى يقول بعد ذلك :

فإنّكَ قد أصبحتَ للمُلْكِ قيّماً وصرتَ مكانَ الفَضْلِ والفَضْلِ والفَضْلِ

فهؤلاء ثلاثة حلّ الفضل بن مروان محلهم لا اثنان على نحو ما ذكر في البيتين السابقين ، فأين الفضل الثالث ؟ إنه في قول دعبل ـ وقد سقط من النص في المجموعة ـ :

وفي ابن الربيع الفضلِ للفضل زاجرٌ إن ازدجر الفضلُ بن مروانَ بالفضلِ
إذا ذكروا يوماً وقد صرتَ رابعاً ذُكرتَ بقدرِ السَّعْيِ منكَ إلى الفَضْلِ

وبذلك يصبح بعده قول دعبل السابق مفهوماً :

فإنّكَ قد أصبحتَ للمُلْكِ قيّماً وصرتَ مكانَ الفَضْلِ والفَضْلِ والفَضْلِ

٤ ـ والنصوص ذوات الأرقام (٢٠٤ - ٢٠٧) كلها نص واحد كان يمكن أن يجتمع في يد المحقق لو اطلع على مصادر أخرى غير التي اطلع عليها . وكان يمكن أن يضيف إليه أيضاً ستة أبيات أخرى . وهذا النص الذي مطلعه :

أفيقي من ملامكِ يا ظعينا كفاكِ اللومَ مَرُّ الأَرْبعينا

هو نونية دعبل اليمانية المشهورة التي يقال إنها كانت تبلغ ستمائة بيت .

٥ ـ والنص التاسع والثلاثون ، وهو قول دعبل :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أحسَنُ ما في صالحٍ وَجْهُهُ فقِسْ على الشاهدِ بالغائبِ

خطأ ، فوجهه هو الشاهد . وصوابه :

فقِسْ على الغائبِ بالشّاهدِ

وبعده البيت :

تأملتْ عيني له خِلْقَةً تدعو إلى تَزْيِنةِ الوالدِ

ومن عجب أن المحقق وضع للبيت الخطأ رقماً ، وجعله نصاً في روي الباء (النص ٣٩) ثم أعاده على وجهه الصحيح ـ مع البيت الثاني ـ وجعله نصاً آخر في روي الدال (النص ٨٦) ! ولم يكتف بذلك بل جعل كتاب المنتحل ـ الذي أورد صورة البيت خطأ ـ من مصادر النص في صورته الصحيحة ! كأن المحقق يدفع بالنصوص إلى المطبعة ، ثم يبدأ يحققها من بعد !

فهذه أمثلة قليلة نجد مثلها في نصوص كثيرة (النصوص : ٧ ، ١٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ و ١ و ٢ من أنصاف الأبيات « وهما ـ في الأصل ـ مقطوعتان كاملتان في الحماسة ٤/٣٦١ و ٣٦٨ ـ ٧٠ » والنصوص : ٣ و ١٤ « سبقت الإشارة إليه » و ٢٣ و ٢٩ و ٣٢ من القسم الثاني) . هذه كلها ـ إلى جانب الأمثلة التي ذكرناها ـ نصوص ناقصة أو مبتورة أو مختلة .

ـ ٧ ـ

ثم نسأل : أي نهج نهج المحقق في ترجيح رواية على رواية ؟ لقد كان ـ في مواضع كثيرة ـ يعدي عن الرواية الواردة في مصدر متقدم ليأخذ بالرواية الواردة في مصدر متأخر ، على حين يستقيم الكلام بالرواية الأولى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن قوله ـ مثلاً ـ (في النص ٥٤) :

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِمَفْرِقِي فقريتُـــه رَفْضَ الغَوايةِ واقْتِصادَ المَنْهَجِ

رواه على هذه الصورة ابن أبي عون (ت ٣٢٢ هـ) ، على حين ورد في الروايات المتأخرة عنه :

ضَيْفٌ أَحلَّ بيَ النَّهى فَقَرَيْتُهُ . . . . . .

فلِمَ نرجح الرواية المتأخرة على الرواية المتقدمة ؟

والنص الواحد والثلاثون بعد المائة ، الذي مطلعه :

أبا مَخْلَدٍ كنا عَقيدَيْ مَوَدَّةٍ هوانا وقلبانا جميعاً معاً معـــا

روي أكثره في عيون الأخبار لابن قتيبة (في عصر الشاعر) ، فلِمَ نرجح على روايته رواية أخرى أبعد منها ؟

إن الاستهانة بالمنهج في ترتيب المصادر ترتيباً زمنياً ، والنظر في الروايات المختلفة في ضوء هذا المنهج كلفا المحقق ـ أحياناً ـ ثمناً غالياً يقدره الباحث في شعر دعبل وإن لم يقدره المحقق . إن قوله مثلاً (في النص ٩٤) :

إنَّ بـــني عمروٍ لأُعجوبةٌ تَعْجِزُ عن وصفِهمُ الفِكْرَهْ

صحيحه الذي تكون له نتائجه البعيدة :

إن بني طوق . . . . . .

فهذه الرواية الصحيحة تعين الباحث ـ مع روايات أخرى غيرها ـ على فهم صلة الشاعر بعمرو بن طوق فهماً يسهل معه تقدير الرواية التي تقول إن منية الشاعر كانت على يديه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومثل هذا الذي نقوله كثير يتعذر علينا ـ هنا ـ أن نفصل الكلام عليه[1] .

بل إن الاستهانة بلغت بالمحقق ـ وهو يصدر ديوانا ! ـ أن يرجع ـ في مصادره ـ إلى الكتب المهذبة المطبوعة ويغفل أصولها المخطوطة الكاملة ! وأبلغ مثل على ذلك رجوعه إلى تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخه المخطوط ملء عين المحققين والدارسين . ولعل تقصيره في الرجوع إلى المخطوطات عام لو تلافاه لأصلح كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها ، مما سنأتي على أمثلة منه بعد قليل .

ثم إن رجوعه ـ في بعض الأحيان ـ إلى كتب حديثة نقل فيها أصحابها المحدثون شعراً لدعبل ، دون أن يرجع إلى الأصول التي أخذت عنها هذه الكتب ، خطأ فادح ورطه في أخطاء أخرى لعل أبرزها نقص هذه النصوص . فالنص الثاني والستون ـ مثلاً ـ الذي نقل بيتيه عن كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين أصله في مناقب آل أبي طالب ـ الذي ذكر المحقق أنه رجع إليه ـ خمسة أبيات . والنص الثامن والتسعون الذي وجد بيتاً من بيتيه في مناقب آل أبي طالب كان يمكن أن يجد بينه الآخر في عيون أخبار الرضا لابن بابوية لو تلمسه فيه بدلاً من أن يقف عند أعيان الشيعة .

— ٨ —

وكان ينبغي لمحقق مثل هذا الشعر المنتزع من مواضعه وأحداثه ومناسباته أن يحسن حكاية المناسبات والأحداث التي تتصل النصوص بها ، ويحسن

(١) سجلنا ملاحظات عنه وقعت في الصفحات التالية : ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التعريف بأعلام الأشخاص والمواضع والمواقع التي تحفل بذكرها هذه النصوص . ولكن المحقق لم يفرغ لهذا أيضاً ، فوقعت كثير من النصوص دون أن يتقدمها بيان يعين القارئ على فهمها . وخلت الحواشي القصيرة المتعجلة ـ في أغلب الأحيان ـ من التعريف والشرح .

كيف يتيسر لنا ـ مثلاً ـ أن نفهم مديح الشاعر للهيثم بن عثمان الغنوي وهجاءه لأحمد بن أبي دواد إن لم نعرف من هما ؟ ومن هو المطلب بن عبد الله الخزاعي الذي أطال دعبل ذكره ؟ ومن هو غسان بن عباد وعلي بن عيسى الأشعري وعمرو بن عاصم الكلابي وأحمد بن أبي خالد ؟

ولماذا ـ مثلاً ـ جعل الحسن بن وهب الكاتب حائكاً ؟ (النص ١٥٤) وما يوم الشراة الذي عيّر به الشاعر مهجوه المطلب الخزاعي ؟ (النص ١٦٩) ومن هو دينار والي الجبال ؟ (النص ١٨٣) وأي الموصليين رثى الشاعر ؟ (النص ٢١٥) .

وكيف يفهم القارئ ـ مثلاً ـ قول دعبل في هجاء الحسن بن وهب (النص١٢٧) :

أَحَبَّ بغالَ البَرْدِ حُبًّا مُداخِلاً يكلِّفه إثباتَها في الشَّرائطِ

إن لم يعرف أنّ هذا الكلام قيل فيه لمّا ولي البريد ؟ وكيف نستلّ الشعر من مناسباته ونحن نجمعه منها ؟ ولمَ نفعل ذلك ؟

إن معرفتنا بأن الشاعر توجه (في النص ١٧٠) بالكلام إلى طاهر بن الحسين في خراسان بعد أن اطرح الشاعر على بابه يفتح لنا مغاليق النص . ومعرفتنا بالظرف الذي هجا فيه دعبل الفضل الرقاشي الشاعر (النص ٢٠١) ضرورة لجلائه وفهمه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم إن استلال النصوص من مناضباتها ـ ونحن نصنع « الديوان » من النصوص المبعثرة ـ إفساد لحقيقتها وموضعها . إن الشاعر ـ مثلاً ـ لم يقل الأبيات الأربعة (في النص ٧٤) « في غمدان وملوك اليمن » فحسب ، وإنما قالها في القصيدة التي رد بها على خصمه الشاعر النزاري أبي سعد المخزومي . والشاعر لم يقل بيتيه (في النص ١٤٧) عبثاً ، دون مناسبة . بل قالهما ـ لو وسع اطلاع المحقق مصدراً أو مصدرين آخرين ـ في شفاعة فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق الكندي إلى القاسم بن محمد الكندي في وظيفة كانت لدعبل عنده .

ويتصل بهذا الذي نقوله تمزيق المحقق محاورات الشاعر الشعرية لبعض معاصريه ، على القوافي المختلفة (انظر النصوص : ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٥٢) فيمثل هذا التمزيق تضيع وحدة الأبيات ، ولا يمكّن القارئ من فهمها . ومن عجب أن المحقق نفسه أدرك ذلك ـ أحياناً ! ـ فجمع أطراف بعض المحاورات بخط صغير (النص ١٤٤) أو نقلها إلى الحاشية (النص ٢١٠) دون أن يتبع منهجاً ثابتاً !

وكيف يمر القارئ أخيراً ـ وهو يقرأ الشعر ـ بهذه المجموعة الكبيرة من الألفاظ غير المألوفة ، دون أن يقدّم إليه شرح مختصر يعينه على فهم الكلام وتقريبه ، على حين تشرح ـ في أكثر الأحيان ـ الألفاظ القريبة التي لا تستدعي الرجوع إلى المعجمات والانكباب على معاني المواد فيها ؟

ففي قول الشاعر مثلاً (النص ٢٥) :

أرقتُ لبرقٍ آخرَ الليل مُنْصِبِ خفيٍّ كبطن الحَيّةِ المتقلّبِ

نشرح (منصباً) ونترك (خفياً : لامعاً) بالمعنى غير المألوف الذي لا يفهم البيت بدون معرفته ؟

وكيف يفهم القارئ بيت الشاعر (النص ١٣٠) :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رُفِعَ الكَلْبُ فاتَّضَحْ ليس في الكلبِ مُصْطَنَعْ

إن لم يفهم معنى الاصطناع ؟

وبيت الشاعر (النص ١٥٦) :

وسُلُّوا من الأَجْفانِ كلَّ مُهَنَّدٍ بصيرٍ بضربِ الطُّلى مُتَدارِكِ

يستدعي أن نشرح فيه كلمة الطلى (الأعناق) .

وقول الشاعر في رثاء المطلب بن عبد الله الخزاعي :

هذا أبو القاسمِ الثاوي ببَلْقَعَةٍ تَسْفي الرِّياحُ عليه من سَوافيها

هبتْ وقد علمَتْ أنْ لا هُبوبَ له وقد تكونُ حَسيراً إذ يُباريها

لا تفهم حقاً المباراة فيها بين المطلب والريح حتى يفهم أن «العرب تشبه الجواد الذي يعم نواله بالريح لأنها تعم ولا تخص» (انظر : الحماسة ٣/٣١) .

هذا قليل من كثير ، لا نرمي فيه إلى أكثر من ضرب المثل .

«للبحث تتمة»

الدكتور عبد الكريم الأشتر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net